

الفارسية العجيبة

حَدَّثَ فِي خِلَافَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ أَنَّ وَالِي الْبَصْرَةِ
أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ ، فَكَلَّفَ وَزِيرَهُ الْأَوَّلَ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ
عَنْ زَوْجٍ تَكُونُ بَارِعَةً فِي الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ ، ذَكِيَّةً
عَالِيَةً السَّكَمِ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ . وَعَبَثًا حَاوَلَ الْوَزِيرُ
أَنْ يَجِدَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ النَّادِرَةَ . وَلَكِنْ حَدَّثَ ذَاتَ
صَبَاحٍ أَنَّ أَحْضَرَ تَاجِرٍ إِلَى بَيْتِ الْوَزِيرِ جَارِيَةً فَارِسِيَّةً
ذَاتَ جَمَالٍ بَاهِرٍ ، وَذَكَاءٍ نَادِرٍ ، وَتَقَافَةٍ عَالِيَةٍ . فَأَفْرَدَ
لَهَا الْوَزِيرُ جَنَاحًا خَاصًا فِي قَصْرِهِ ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُقَدِّمَهَا
لِلْوَالِي فِي الْيَوْمِ التَّالِي .

وَحَدَّثَ أَنَّ وَلَدَ الْوَزِيرِ نُورَ الدِّينِ رَأَى الْجَارِيَةَ .
فَوَقَعَ فِي حُبِّهَا ، وَأَحْبَبَهَا . وَلَمَّا حَضَرَ الْوَزِيرُ إِيْرَافَتَهَا
إِلَى قَصْرِ الْوَالِي وَجَدَ وَلَدَهُ جَالِسًا مَعَهَا ، وَعَلِمَ بِحُبِّهِمَا . فَقَالَ
لِوَلَدِهِ : « يَا لَكَ مِنْ شَقِيٍّ ! سَمِعْتُ الْوَالِيَّ كُلَّ شَيْءٍ ،
وَسَتَكُونُ سَبَبًا فِي شِقَاقِي وَخَرَابِ دَارِي » . وَلَكِنْ
نُورُ الدِّينِ تَوَسَّلَ إِلَى وَالِدِهِ ، وَأَلَحَّ فِي طَلَبِ زَوَاجِهَا .
فَرَّقَ الْأَبُ لِحَالِ ابْنِهِ ، وَتَغَلَّبَتْ عَاطِفَةُ الْأَبَوَّةِ عَلَى
الزَّوَاجِ نَحْوَ الْوَالِي . فَوَافَقَ عَلَى زَوَاجِهِمَا . وَصَارَ كُلَّمَا
سَأَلَهُ الْوَالِي عَنْ الْفَتَاةِ الْمَرْغُوبِ فِيهَا ، قَالَ إِنَّهُ لَمْ يَغْتَرِ
عَلَيْهَا بَعْدُ ، وَإِنَّهُ مِنَ النَّادِرِ أَنْ تَجْمَعَ أَمْرَاءُ بَيْنِ الْجَمَالِ
وَالْحِكْمَةِ وَالذِّكَاةِ . وَيَجِبُ أَنْ يَتَذَرَعَ الْوَالِي بِالصَّبْرِ
غَيْرَ أَنَّ السَّرَّ لَمْ يُخْفَ طَوِيلًا عَلَى الْوَالِي ، إِذْ عَلِمَ مَا كَانَ

مِنْ أَمْرِ الْفَارِسِيَّةِ الْعَجِيْبَةِ وَنُورِ الدِّينِ . فَأَمَرَ
بِأَخْضَارِهِمَا فِي الْحَالِ . وَكَانَ أَحَدُ أَصْدِقَائِهِ نُورَ الدِّينِ قَدْ سَمِعَ
أُمُورَ الْوَالِي ، وَتَبَيَّنَ غَضَبَهُ الشَّدِيدَ . فَخَافَ أَنْ يُصِيبَ
صَدِيقَهُ مَكْرُومًا ، فَهَرَّوَلَ إِلَيْهِ مُسْرِعًا ، وَسَاعَدَهُ عَلَى
الْهَرَبِ مَعَ زَوْجِهِ عَلَى ظَهْرِ سَفِينَةٍ مُسَافِرَةٍ إِلَى بَغْدَادَ .
وَلَمَّا وَصَلَا إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْمَظِيْمَةِ سَارَا فِي نَوَاجِيهَا
عَلَى غَيْرِ هُدًى ، إِذْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُمَا زِيَارَتُهَا . وَلَمْ يَعْرِفَا
أَحَدًا يُضِيْفُهُمَا . وَأَخِيرًا وَصَلَا إِلَى حَدِيقَةِ غَنَاءٍ ، وَقَدْ حُلَّ
بِهِمَا التَّعَبُ . فَجَلَسَ بِجَانِبِ فَوَازَةٍ ، وَغَلَبَتْهُمَا النَّمَلُ .
وَلَمَّا أَقْبَلَ الْمَسَاءُ أَتَى إِلَيْهِمَا رَجُلٌ مُسْنً ، وَأَيْقَظَهُمَا .
فَقَالَ نُورُ الدِّينِ : « عَفْوًا أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمُخْتَرَمُ ، إِذْ تَجَرَّأْنَا
عَلَى النَّوْمِ هُنَا . فَتَحْنُ غَرِيبَانِ عَنْ هَذِهِ الدِّيَارِ ، وَقَدْ
سِرْنَا فِي الْمَدِينَةِ طَوْلَ النَّهَارِ ، وَحُلَّ بِنَا تَعَبٌ شَدِيدٌ ،
وَأَعْجَبْنَا بِهَذِهِ الْحَدِيقَةِ الْعَجِيْبَةِ الَّتِي لَمْ أَرُ مِثْلَهَا فِي حَيَاتِي
فَدَخَلْنَا وَلَسْتَرَحْنَا هُنَا ، فَمَلَبَسْنَا النَّمَلُ . إِنَّكَ سَمِيدٌ حَقًّا
إِذَا يَكُونُ لَكَ هَذَا الرُّوضُ الْجَمِيلُ . »

وَكَانَتْ هَذِهِ الْحَدِيقَةُ إِحْدَى حَدَائِقِ الْخَلِيفَةِ ،
وَبِهَا قَصْرٌ مِنْ قُصُورِهِ . وَكَانَ الرَّجُلُ الْمُسْنُ أَحَدَ
الْحُرَّاسِ ، وَلَكِنْ كَلِمَاتِ نُورِ الدِّينِ جَعَلَتْهُ يَزْهُو
وَيَتَبَهَّ . كَيْفَ لَا ، وَالغَرِيبُ يَظُنُّ أَنَّهُ صَاحِبُ الرُّوضِ
وَمَا فِيهِ . فَقَالَ فِي الْحَالِ : « أَهْلًا بِكُمَا وَسَهْلًا ،

فِي بَعْضِ الْيَاكِلِ مُتَخَفِيًا ، يَسْتَطْلِعُ أَحْوََالَ الرَّيْثَةِ .
فَرَأَى الْأَنْوَارَ مِنْ خِلَالِ نَوَافِذِ الرِّذْهَةِ الْكَبْرَى .
فَمَجَّبَ لَدَلكَ ، وَصَمَّمَ أَنْ يَسْتَطْلِعَ الْخَبَرَ بِنَفْسِهِ .
فَقَرِيبًا بَرَى رَجُلٍ قَفِيرٍ . وَأَقْرَبَ مِنَ الرِّذْهَةِ ،

هَيَّا أَرِيكُمْا الْقَصْرَ وَمَا فِيهِ مِنْ بَدِيعِ الْفَنِّ ، وَتَادِرِ
التَّحْفِ ، وَتَمِينِ الرِّيشِ . وَسَارَ بِهِمَا ، فَصَعِدُوا فِي
السَّاهِمِ . وَدَخَلُوا إِلَى الْبَهْوِ الْكَبِيرِ الْمَزِينِ بِالذَّهَبِ
وَالْأَخْجَارِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْمَحَلِّيِّ بِأَزْهَى الْحُلِيِّ وَأَنْعَمِهَا .

فَسَمِعَ صَوْتَ الْفَارَسِيَّةِ
الْحُسْنَاءِ ، وَهِيَ تُنَشِّدُ
قِطْعَةً مِنَ الشَّعْرِ الرَّاقِ
عَلَى نَعَمَاتِ الْمَوَدِّ .
فَأَعْجَبَهُ صَوْنُهَا . وَأَخَذَ
يُفَكِّرُ فِي حِيلَةٍ يَرَى
بِهَا صَاحِبَةَ الصَّوْتِ
وَيُشَاهِدُ الْخُفْلَ . وَبَيْنَمَا
هُوَ يَفَكِّرُ إِذْ رَأَى
صَيَّادًا يَصِيدُ السَّمَكَ فِي
النَّهْرِ الْمُجَاوِرِ لِلْحَدِيقَةِ
فَاشْتَرَى مِنْهُ سَمَكَيْنِ
كَانَ قَدْ صَادَهُمَا ،
وَحَمَلَهُمَا . وَدَخَلَ إِلَى
الرِّذْهَةِ . وَتَقَدَّمَ مِنْ



وَبَهَرَ نَوْرَ الدِّينِ هَذَا
الْجَمَّالُ النَّادِرُ ، وَنَادَى
الرَّجُلَ قَائِلًا : « اسْمَعْ
لَنَا أَنْ نَقِيمَ هُنَا حَفْلًا
صَغِيرًا عَلَى حِسَابِنَا
الْخَاصِّ . » وَتَأَوَّلَهُ كَيْسًا
مِنَ الذَّهَبِ قَائِلًا :
« إَعْطِ هَذِهِ الثَّقُودَ أَحَدَ
أَتْبَاعِكَ ، يَشْتَرِ لَنَا
شَبْنًا مِنَ اللَّخْمِ
وَالْفَاكِهَةِ وَالشَّرَابِ . »
فَأَخَذَ الرَّجُلُ الْكَيْسَ
وَخَرَجَ إِلَى السُّوقِ ،
وَاشْتَرَى غِذَاءً فَأَخْرَأَ ،
وَعَادَ فَوَجَدَ نَوْرَ الدِّينِ

وَقَدَّمَ مِنْ نَوْرِ الدِّينِ وَقَالَ : لَقَدْ اسْطَلَدْتُ هَاتَيْنِ السَّمَكَيْنِ وَرَأَيْتُ أَنَّهَا يَصْلُحَانِ لِمَوْلَايَ الْعَظِيمِ .

نَوْرَ الدِّينِ ، وَقَالَ :
« لَقَدْ اسْطَلَدْتُ هَاتَيْنِ السَّمَكَيْنِ ، وَرَأَيْتُ أَنَّهَا
يَصْلُحَانِ لِمَوْلَايَ الْعَظِيمِ . » فَقَالَ نَوْرُ الدِّينِ : « حَسَنٌ ،
فَاذْهَبْ إِلَى الْمَطْبَخِ وَجَهِّزْهُمَا . » فَفَعَلَ الْخَلِيفَةُ ،

الرِّذْهَةَ كُلَّهَا . فَتَلَّالَتْ أَنْوَارُهَا مِنْ خِلَالِ نَوَافِذِهَا
السَّامِيَةِ .
وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ أَنْ يُخْرِجَ

وَعَادَ بِالسُّكِّ مَقْلِبًا ، وَقَدَّمَهُ لَهُمْ . فَلَمَّا أَكَلُوا ، قَالَ
نُورُ الدِّينِ : « إِنَّهُ لَذِيذٌ حَقًّا ، وَمَا أَكَلْتُ فِي حَيَاتِي
أَحْسَنَ مِنْهُ » ، وَتَأَوَّلَهُ حَقَنَةً مِنَ الذَّهَبِ فَأَيَّلًا :
« أَرْجُو أَنْ تَتَقَبَّلَ هَذِهِ الْهَدِيَّةَ الصَّغِيرَةَ » . فَشَكَرَهُ
عَلَى عَطِيَّتِهِ . وَقَالَ ، « هَلْ تَسْمَحُ لِي أَنْ أَطْلُبَ عَطْفًا
كَبِيرًا مِنْكَ ؟ إِنِّي عَلَى قَفَرِي أُحِبُّ الْمَوْسِقَا . فَهَلْ
تَسْمَحُ لِي بِالْبَقَاءِ قَلِيلًا أَسْمَعُ غَنَاءَ زَوْجِكَ الْحُسْنَاءِ ؟ »
فَأَخَذَتِ الْفَارِسِيَّةُ عُوْدَهَا وَغَنَّتْ أَبْدَعَ الْأَلْحَانِ ، وَتَمِيعَ

الْخَلِيفَةُ صَوْنَهَا الْخَنُونُ ، وَاعْجَبَهُ جَمَالُهَا الْفَتَانُ . وَفِي
قَرَارَاتِ الْاِسْتِرَاحَةِ قَصَّ نُورُ الدِّينِ قِصَّةَ زَوْجِهِ إِبَاهَا
وَهَرَبِهِ إِلَى بَنْدَادٍ ، يَشْكُو ظُلْمَ الْوَالِي إِلَى الْخَلِيفَةِ
الْعَادِلِ . وَهُنَا أُعْلِنَ الصِّيَادُ أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ هَارُونُ الرَّشِيدِ
نَفْسُهُ . وَكَتَبَ إِلَى وَالِي الْبَصْرَةِ بِسْتَدْعِيهِ ، وَحَقَّقَ مَعَهُ .
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ صِدْقُ نُورِ الدِّينِ عَزَلَ الْوَالِي ، وَأَقَامَ
نُورَ الدِّينِ وَالِيَا عَلَى الْبَصْرَةِ مَكَانَهُ . فَمَادَ إِلَيْهَا مَعَ
زَوْجِهِ الْفَارِسِيَّةَ الْعَجِيبَةَ .

النمل - (تمة المقال المنشور بالصفحة الأولى)

وَتَعَاوَنَ عَلَى تَقْلِبِهَا . وَمِنْ الْمَنَظَرِ الَّتِي تَلَفَّتِ النَّظْرُ مَنَظَرُ
جَمَاعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ النَّملِ تَسِيرُ وَاحِدَةً وَرَاءَ الْآخَرَى ،

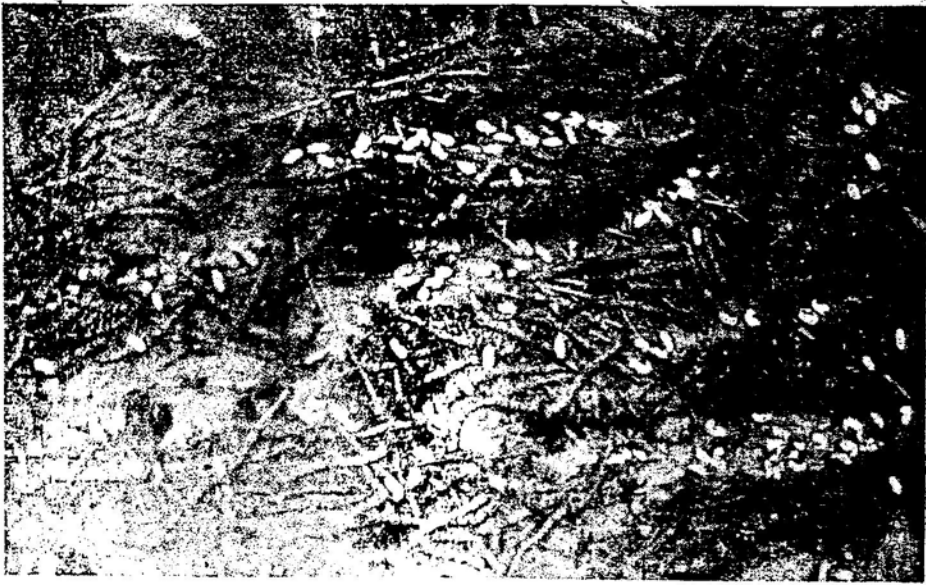
فِي خُطٍّ طَوِيلٍ مُتَّصِلٍ مِنَ النُّقْطَةِ
الَّتِي وَجَدَتْ فِيهَا الطَّعَامَ إِلَى
مَسْكَنِهَا ، وَكُلُّهَا تَعْمَلُ مَا
تَسْتَطِيعُ تَحْمِلُهُ مِنَ الذَّخِيرَةِ الَّتِي
عَمَرَتْ عَلَيْهَا . وَكثيرًا مَا يَكُونُ
الْحِمْلُ أَثْقَلُ مِنَ النَّمْلَةِ نَفْسِهَا ، وَقَدْ
يَبْلُغُ أَرْبَعَةُ أَمْثَالِ وَزْنِهَا . وَأَخْيَانًا
تَتَعَاوَنُ الْجَمَاعَةُ عَلَى جَرِّ كَنْزَلَةٍ
كَبِيرَةٍ مَعًا ، فَتُسَكِّ كُلُّ نَمْلَةٍ
بِطَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِهَا .



مقطع رأس في مسكن النمل حيث ترى « العين » والمريات
للحشرات على رعايته .

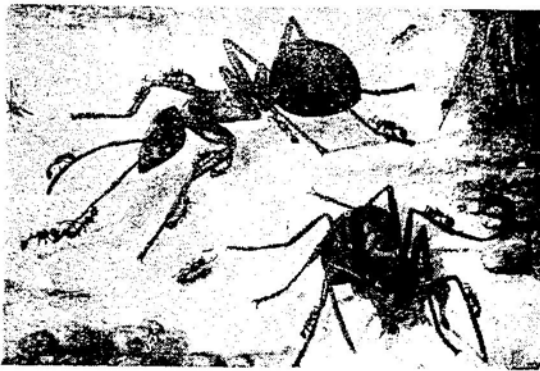
خَاصَّةً مُلْحَقَةً بِمَسْكَنِهَا ، أَنْوَاعًا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الصَّغِيرَةِ ،
كَابْرَبِيِّ الْإِنْسَانِ النَّحْلِ لِيَنْتَفِعَ بِسَكْلِهِ . فَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ
تَمْتَصُّ مِنْ بَعْضِ النَّبَاتَاتِ عَصِيرَهَا ، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ النَّحْلُ
نَفْسُهُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ بِفِيهِ ، ثُمَّ تَعُودُ
فَتَقْرُضُهُ عَسَلًا يَتَذَوَّى مِنْهُ النَّحْلُ .
وَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ يَدْخِرُ بِمَا يَجْمَعُهُ
فِي الصَّيْفِ مَا يَقْتَاتُ بِهِ فِي الشِّتَاءِ :
وَلَهُ فِي حِفْظِ الْأَغْذِيَةِ حِيلٌ عَجِيبَةٌ .
فَبِمَنْعِ الْبُذُورِ الَّتِي يَدْخِرُهَا ،
كَالْقَنْجِ وَالْأَزْزَرِ ، تَبْتُ إِذَا تَرَكْتَ
فِي جَوْفِ الْأَرْضِ مُدَّةً طَوِيلَةً .
وَلِذَلِكَ فَهُوَ يُقَسِّمُ الْحَبَّةَ قِسْمَيْنِ
قَبْلَ خَزَنِهَا ، لِيَسْتَعْمِلَ مِنَ الْإِنْبَاتِ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا يُعْرِفُ عَنِ النَّحْلِ أَنَّهُ يُرَبِّي فِي حِطَّارٍ



جزء من مملكة النمل رفعت عنه الآفة

فُسِّمَتْ نِصْفَيْنِ، لَنَبَتِ كُلُّ نِصْفٍ بِمُفَرِّدِهِ. وَإِذَا خَافَ
النَّمْلُ أَنْ يَتَعَفَّنَ الْحَبُّ، أَخْرَجَهُ إِلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ،



معاركة بين نوع ضخم ونوع صغير من النمل . لاحظ كيف يحاول النمل الصغير هنا التغلب على خصمه بالتسلق على أرجله ، وقرصه في مواضع ضعفه .

اَلْخَلْفِيُّ مِنْ جِسْمِهِ يَجْهَازُ يَنْفُثُ مِنْهُ عَلَى عَدُوِّهِ سُمًّا قَاتِلًا .
عَلَى أَنْ النَّمْلَ أَحْيَانًا يَتَصَنَّعُ الْقِتَالَ فِي لَبِيبِ قَرَاهُ
فِي الصَّبْفِ ، بِجُورٍ مَسَاكِينِهِ يَقُومُ بِقِتَالِ صُورِي ،
(البقية في صفحة ٢٤)



ولبعض النمل لا يقرص ولكنه ينفث سماً .

وَالنَّمْلُ ، عَلَى صِغَرِهِ ،
شُجَاعٌ فِي الْقِتَالِ . وَأَكْثَرُ قِتَالِهِ فِي سَبِيلِ الْقُوَّةِ ، أَوْ
دِفَاعًا عَنْ مَسَاكِينِهِ ضِدَّ غَارَاتِ الطَّامِعِينَ فِيهَا . عَلَى
أَنَّهُ يِقَاتِلُ أَحْيَانًا لِأَسْبَابٍ غَيْرِ ذَلِكَ . فَبَعْضُ أَنْوَاعِهِ
تُؤَمِّرُ عَلَى مَسَاكِينِ غَيْرِهَا ، وَتَخْتَطِفُ صغارها ، لِتَسْجُدَها